التكفير والارهاب بدل التفكير

م. وفاء عبد الرزاق العنبكي

جامعة بابل/ كلية التربيه الاساسية

Takfeer (Charging with Disbelief) and Terrorism as a Replacement to Thinking

Lect. Wafa'a Abdul Razaq Al-Anbaki

College of Basic Education/ University of Babylon

Abstract

The spread of terrorism, extremity and takfeer for the first time in the Arabic and the Islamic world is dangerous to the world and to Islam itself. The most dangerous thing in this phenomenon is the takfeer ideology which motivates revenge and killing.

ملخص البحث

ان تفشي ظوهر العنف والارهاب والتطرف والتكفير ولأول مرة في العالم العربي والاسلامي وتصاعد وتائره كما ونوعا وامتداده في رقعة جغرافية واسعة تمتد من المغرب الى إندونيسيا، ليصل الى مناطق ودول وحضارات بحيث يتحول الى مصدر خطر كبير على العالم وعلى الاسلام نفسه. وان أخطر ما في هذه الظاهرة جانبها اللامرئي فيها وهو عالم الافكار الايديولوجية التكفيرية التي تزود الارادة بطاقة حيوية على الانتقام والقتل. ان هذه الظاهرة لم تنتشر الا بعد ان وجدت لها دوافع وأسباب وتربة حاضنة مولدة لها.

وبحسب علماء النفس، فليس هناك علاقة بين الارهاب والديني والقومي والمذهبي لان من يمارس الارهاب له مواصفات سيكولوجية عامة. فالإرهابي هو شخص مصاب بالعمى العام فلا يرى من الحقيقة سوى وجها واحدا، وهو ممارسة القتل والذبح وقطع الرؤوس بقسوة لتحقيق هدفه، حتى لو توفرت امامه خيارات أخرى. فهو يكفّر بدل ان يفكّر في نتائج ما يقوم من اعمال إرهابية.

المهم جدا هو معرفة ان الانسان المصاب بهذه الحالة من المؤكد ان يكون له قابلية وشعور داخلي على الانتحار يسيطر على تفكيره. وان أي انسان ليس لديه هذه القابلية الداخلية، مهما حاولنا زرع أفكار في رأسه، فإنه لا يقدم على فعل الانتحار، ولكن إذا كانت لديه هذه القابلية الداخلية الموجودة أساساً، تأتي التنشئة الاجتماعية والتربية والمحيط الاجتماعي لتغذية فكرته وتنميتها وتقويتها وجعلها قابلة للتنفيذ، خاصة في الحالات الجماعية التي تجمعهم هذه الحالة النفسية ويغذون بعضهم بعضاً، وبالتالي يعيشون الواقع الذي يشعرون به معا فيقوون حالة اليأس. ولكن هذه الحالة مهما وصلت حدتها فلن يفكر الانسان معها بنحر الآخرين، بل فقط يقتل نفسه.

وأذ تعج المناطق المتخلفة في العالم بالأفكار التكفيرية، مثلما تعج المنطقة العربية بوجود اعداد جاهزة وبائسة وقابلة للانسجام مع هذا المفهوم الديني الجديد لأسباب أجتماعية وسياسية عديدة، فقد تبلورت ظاهرة التطرف والنزوع نحو خلاص النفس من محيطها وواقعها العربي المزري بجنوح المنتحر الى توظيف جسده كوسيلة من وسائل الموت دون أن يتعرف على هويات أو اسماء الضحايا، سواء بواسطة ايهام المنتحر بحياة في الجنة أو بوعود يطرحها رعاة للأعمال الأرهابية أو بخلاص لحياة بشرية انغلقت امامها سبل الحياة النافهة سوى طريق الموت الذي يرسمه له المنظرين كوسيلة من وسائل رضا الله زيفاً وبهتاناً ايهاماً للمنتحر.

له مرجعاً دينياً يتم تقليده والأقتداء به، وقد نعجب أن اعراباً يقطعون كل تلك المسافات ويعبرون الحدود ويتركون بيوتهم ليقدموا على قتل العراقيين الذين سيموتون بأرادة الله حتما فليس بينهم من يؤبد الحياة، وقد نعجب لأعراب يتركون الحرب التي تشنها التنظيمات الأرهابية المتطرفة التي تتخذ من الدين الأسلام وتعاليمه السمحاء برقعاً وستاراً لتمرير أفعالها، لاتؤثر في جدران السلطات ولاالأنظمة الغربية التي تزعم انها تحاربها، وهذه الحرب موجهة ضد المدنيين والأبرياء الآمنين

دون غيرهم، وبالتالي هي حرب موجهة من هذه التنظيمات المتطرفة التي توفرت لها كل مستلزمات القوة والأسناد الى الدفع والتغذية المعنويين، هذه الحرب موجهة ضد الأنسانية بشتى صورها، وأن الجرائم المرتكبة رغم بشاعتها وكارثيتها بحق الأنسانية لم تغير المسارات السياسية للدول ولم تستطع أن تجعلها تعيد النظر في أقتصادها أو في مسارات أنظمتها السياسية، كما لم تستطع أن تقنع أحداً بأنها موجهة ضد السلطات والحكام دون الجماهير المدنية.

غير أن مايلفت النظر أن وراء تلك الشبكات الأرهابية حكام دول وتنظيمات سياسية وشخصيات لاتشعر بأدنى خجل حين تشير بشكل غير مباشر مساندتها الى هذه التنظيمات الأرهابية بحجة الأنتصار الى الأسلام والعروبة، مع انها تمارس الشيزوفرينيا السياسية في الموقف المتناقض، حين تزعم التزامها بحقوق الأنسان ومحاربتها للأرهاب من جهة، وتغذيتها لهذه التيارات الأجرامية التي أخذت تنتشر في المنطقة العربية وتتفرع منها منتشرة مثل الوباء من جهة أخرى.

الفصل الاول. سيكولوجية الإرهاب

ان تفشي ظوهر العنف والارهاب والتطرف والتكفير ولأول مرة في العالم العربي والاسلامي وتصاعد وتائره كما ونوعا وامتداده في رقعة جغرافية واسعة تمتد من المغرب الى إندونيسيا، ليصل الى مناطق ودول وحضارات بحيث يتحول الى مصدر خطر كبير على العالم وعلى الاسلام نفسه. وان أخطر ما في هذه الظاهرة جانبها اللامرئي فيها وهو عالم الافكار الايديولوجية التكفيرية التي تزود الارادة بطاقة حيوية على الانتقام والقتل. ان هذه الظاهرة لم تنتشر الا بعد ان وجدت لها دوافع وأسباب وتربة حاضنة مولدة لها.

وبحسب علماء النفس، فليس هناك علاقة بين الارهاب والديني والقومي والمذهبي لان من يمارس الارهاب له مواصفات سيكولوجية عامة. فالإرهابي هو شخص مصاب بالعمى العام فلا يرى من الحقيقة سوى وجها واحدا، وهو ممارسة القتل والذبح وقطع الرؤوس بقسوة لتحقيق هدفه، حتى لو توفرت امامه خيارات أخرى. فهو يكفّر بدل ان يفكّر في نتائج ما يقوم من اعمال إرهابية.

وبالرغم من انجاز عدد كبير من البحوث والدراسات التي بحثت في سيكولوجيا العنف والارهاب ومن خلفيات مختلفة، غير أنها لم تستطع تقديم اجابات شافية. وبعد دراسات وبحوث علمية أجريت على عدد من الارهابيين، لاحظ العلماء بأنه، من النادر ان يعاني هؤلاء من امراض نفسية، فيما عدا نسبة قليلة منهم، الذين يعانون من اضطراب في الشخصية التي تتميز بممارسة العنف المفرط. وعموما فان الأغلبية الساحقة من الارهابيين بما فيهم الانتحاريين هم غير مصابين بأمراض نفسية أو عقلية. غير ان العامل المشترك الذي يجمع بينهم هو ايمانهم العميق ويقينهم المطلق بأيديولوجيتهم الدينية المتطرفة، والأهم من ذلك يقينهم المطلق بصحة وعدالة ما يقومون به من أعمال إرهابية من دون أي تفكير بالنتائج المرتقبة من أعمالهم الارهابية.

ان هذه الظاهرة السيكولوجية تبقى في غاية الغرابة والخطورة وتثير تساؤلات هامة منها: كيف يمكن لشخص سوي وغير مصاب باضطرابات نفسية ان يتحول الى ارهابي لا يكترث بحياة وآلام الآخرين، بل ويفجر نفسه وسطهم وهو منتشي من الفرح؟!

لنأخذ اراء بعض علماء النفس في هذا الموضوع. فقد أكد عالم النفس الامريكي انتون كوبير بانه "ليس هناك أية فروقات بين الإرهابي والجندي"، فكلاهما ينتقي أسلوب تحقيق اهدافه باستخدام السلاح. وقد اشار متري شانسكي مؤلف كتاب "سيكولوجيا الارهاب"، بان علم النفس عاجز عن تأدية هذه المهمة. فمن وجهة النظر السيكولوجية ليس ثمة صورة متفق عليها للإرهابي بين علماء النفس، ومعنى هذا ان هذا الموضوع لا يرتبط بمجال علم النفس أو علم الاعصاب، وانما بمجال ابعد وأعمق من ذلك، وعلينا ان نوجه انظارنا الى مجال الاجتماع والثقافة والسياسة ونتساءل عن البواعث التي تدفع شخص ما الى ارتكاب عمل إرهابي؟.

يرى الدكتور رياض عبد، الذي حاول تفسير عملية التغير السيكولوجي التي يمر بها الفرد لكي يكون إرهابيا، بأنه غالبا ما تبدأ هذه العملية باختزال هوية الآخر الى هوية أحادية مسطحة واعتباره كافرا وعميلا خائنا، وفي ذات الوقت، اختزال هوية الذات الى هوية أحادية واعتبار نفسه مجاهدا ومقاتلا وشهيدا. ان انتزاع صفة الآدمية عن العدو يحوله الى كائن لا قيمة له ولا يستحق الحياة. وان اليقين الراسخ الذي يملكه الارهابي هي حالة اعتقاد مشابهة لحالات المرض العقلي الذهاني التي تتميز باعتقاد لا يتزحزح بالأوهام التي غالبا ما تؤدي الى اضطرابات في السلوك، بالرغم من ان عددا من علماء النفس يرون بان حالة اليقين عند الارهابي لا تعتبر دوما مرضا عقليا وذلك لان اعتقاد الارهابي وسلوكه لا يشوبه اضطراب واضح، وهذا يعود الى الايديولوجية التي تحتوي على عناصر اضافية تختزل العلاقة مع الآخر بكونه كافرا وعدوا، وبذلك يسهل انتزاع آدميته. وهذه الايديولوجية تعطي التبريرات الكافية لاستخدام العنف المنفلت نحو الآخر والتي من الممكن ان تؤدي الى الارهاب.

أما الدكتور قاسم حسين صالح، فيرى بأن الانجذاب نحو التطرف هو بسبب ان الاسلاميين المتطرفين وجدوا أنفسهم محاصرين بانواع من الأطواق الخانقة وهي: –

أولا–حصار خارجي يتمثل بدول الغرب الكبرى

ثانيا–حصار داخلي يتمثل بالأنظمة السياسية القائم

ويشير قاسم حسين صالح الى ان نزعة الانسان الى البقاء تدفعه الى فك الحصار عن نفسه بأية وسيلة كانت والتحرر من هذه الأطواق الخانقة. فالارهابيون مخلصون تماما لمعتقداتهم فلا يوجد أكثر اخلاصا للمعتقد من أن يضحي الفرد بحياته من أجله، ولا فرق من حيث الفعل النفسي والادراكي بين إرهابي يشد نفسه بحزام ناسف ليفجرها بين حشد من الناس وبين عمر المختار الذي يضحي بنفسه من أجل وطنه، فكلاهما ينتهي الى نهاية واحدة: تدمير الذات وإفناؤها، والفرق يكمن في المعتقد. فالسياسي الذي يخيّر بين الإعدام وبين التخلي عن معتقده ويختار الاعدام إنما يضحي بنفسه من اجل هدف واقعي يراه خيرا وجيدا للناس ولا يلحق الأذى بالآخرين انما التعاطف معهم، فيما يؤدي تدمير الإرهابي الانتحاري لنفسه الى ارتكاب جريمة بقتل نفوس بريئة وإلحاق الأذى بآخرين من أجل هدف خيالي نسجه في تفكيره ومعتقده ويراه الآخرون هدفا وهمياً أو باطلاً. كما يؤكد على ان الخلل ليس في الانسان بحد ذاته، وإنما في طبيعة معتقده الذي يجيز له الفتك بأرواح بريئة من الناس ومن أبناء قومه أو غيرهم. والإرهابي عصابي، فهو يفقد الوعي والمرونة في التعامل مع الأمور ولا يجد أمامه إلا حلاً واحداً لكل قضية تسيطر على تفكيره وتجبره على القيام به بعناد، حتى لو كان فيه فناؤه.

إذن كيف يفكر الإرهابي وما هي دوافعه وحججه وتبريراته وأي منطق يستخدم؟ كل هذه الأسئلة جعلت علماء الاجتماع وعلماء النفس وغيرهم يحتارون في الإجابة عليها. مع ان البعض منهم حاول دراسة دوافع هذه الاعمال الإرهابية وخاصة حين يفجر الانتحاري نفسه بحزام ناسف أو سيارة مفخخة وسط سوق شعبي أو مدرسة أو جامع أو أي مكان آخر فيبيد العشرات من الأبرياء دون ان يشعر بأي ذنب أو حزن! والأكثر غرابة في الأمر انه يقتل نفسه او يفجرها بحزام ناسف وهو منتشي من الفرح وفي حلم لقاء حور العين في الجنة التي وعدوه بها الشيوخ الذين يحرضون على الجهاد.

والحقيقة ان وراء هذه الاعمال الانتحارية أسباب ودوافع مختلفة ومعقدة، اجتماعية ونفسية ودينية وسياسية، فليس من السهولة معرفة دوافع من يقوم بتفجير نفسه بسيارة مفخخة أو بحزام ناسف أو غيرهما إلا بأيمانه وبقناعته التامة بأنه يقوم بذلك من أجل قضية يؤمن بها. وليس

من الضروري ان يكون الانتحاري شخصا بسيطا وساذجا أو معتوهاً أو مريضا نفسيا أوقلقا ومعقدا يمكن استدراجه بسهولة وتوظيفه في العمليات الانتحارية، فهناك عدد من الانتحاريين الذين انخرطوا في الحركات الإرهابية وشاركوا في هجمات 11 أيلول عن أيمان وقناعة هم من المتعلمين ومن حملة الشهادات العالية. كما ان هناك من انخرط في العمليات الإرهابية لأسباب ماسوشية استلابية، يأساً من الحياة وهروباً منها بسبب دوافع سيكولوجية مرضية أخرى أو حباً في الظهور أو لأسباب سادية بدافع العنف والتسلط على الآخرين.

ويرى عالم النفس اللبناني أسامة دحدوح ان المنتحر يصنّف في خانات عدة. فهو يعيش في حالة نفسية يطلق عليها Paranoiaque وهي شغف كبير لشعور داخلي مكوّن داخله، وهذا الشعور يولد لديه شغفاً تجاهه ليفكر ماذا يمكن ان يفعل لهذا الشعور؟ فهو يضحي بنفسه وحياته او أكثر من ذلك فداء لهذا الشغف الداخلي الذي يسكنه وقد تصل به حالته النفسية الى حد الهذيان. وهذه الحالة النفسية تصيب الأشخاص الذين يؤمنون بفكر معين بحيث تتكون في رأس هذا الانسان أفكارا يعلم الجميع بأنها خاطئة ولكنه مقتنع بانها صائبة في المطلق الى درجة الهذيان.

المهم جدا هو معرفة ان الانسان المصاب بهذه الحالة من المؤكد ان يكون له قابلية وشعور داخلي على الانتحار يسيطر على تفكيره. وان أي انسان ليس لديه هذه القابلية الداخلية، مهما حاولنا زرع أفكار في رأسه، فإنه لا يقدم على فعل الانتحار، ولكن إذا كانت لديه هذه القابلية الداخلية الموجودة أساساً، تأتي التنشئة الاجتماعية والتربية والمحيط الاجتماعي لتغذية فكرته وتنميتها وتقويتها وجعلها قابلة للتنفيذ، خاصة في الحالات الجماعية التي تجمعهم هذه الحالة النفسية ويغذون بعضهم بعضاً، وبالتالي يعيشون الواقع الذي يشعرون به معا فيقوون حالة اليأس. ولكن هذه الحالة مهما وصلت حدتها فلن يفكر الانسان معها بنحر الآخرين، بل فقط يقتل نفسه.

الفصل الثاني. الأرهاب

ورد في (المنجد في اللغة): أرهبه أي خوفه، يقال ارهب عنه الناس بأسه ونجدته، أي ان بأسه ونجدته حملا الناس على الخوف منه.

والرهبة من الخوف المقترن بالعنف والقسوة، وتطلق عليه في اللغة الانكليزية كلمة (Terrorism). وورد في القرآن الكريم في سورة الاعراف السورة السابعة الآية 116 (وأسترهبوهم)، بمعنى فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاس وَاسْتَرْهَبُوهُمْ " أَيْ خَيَّلُوا إِلَى الْأَبْصَار أَنَّ مَا فَعَلُوهُ لَهُ حَقِيقَة فِي الْخَارِج وَلَمْ يَكُنْ إِلَّا مُجَرَّد صَنْعَة وَخَيَال، كما أورد كلمة يرهبون في نفس السورة الآية 154، بمعنى هُدًى وَرَحْمَة لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ " ضَمَّنَ الرَّهْبَة مَعْنَى الْخُضُوع، كما وردت عبارة (ترهبون به عدو الله) في سورة الانفال الثامنة الاية 60 بمعنى تُرْهِبُونَ " أَيْ تُخَوِّفُونَ " بِهِ عَدُوّ اللَّه وَعَدُوّكُمْ " أَيْ مِنْ الْكُفَّار. كما وردت في سورة الانبياء 21 في الآية 90 وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا، كما أوردت الاية 59 من سورة الحشر الاية 13 (أشد رهبة في صدورهم)، بمعنى يَخَافُونَ مِنْكُمْ أَكْثَر مِنْ خَوْفهمْ مِنْ اللَّه.

وبالنظر لعدم الاتفاق على تعريف للأرهاب، فقد اجمع الشراح والفقهاء على ان الأرهاب عملاً من الأعمال التي تتسم بالعنف والرعب والافعال المحرمة قانونا وبقصد نشر الخوف في نفوس الناس الامنين وأشاعة الأضطراب والرهبة في الحياة الأنسانية، وللتعرف على بعض هذه التعاريف نستعرض قسم منها للوصول الى تعريف جامع.

يعرف الإرهاب الدولي على انه عمل ارهابي يشمل مواطنين اومناطق تنتمي لاكثر من دولة واحدة، وينسحب الإرهاب الى كل عمل يحاول فرض أفكار أو مذاهب أذا أقترن ذلك العمل بالقوة والأساليب القسرية والوسائل التي تعدم حرية الاختيار عند الإنسان.

أما الجماعة الإرهابية فتعرف على انها اي جماعة ارهابية تشارك مباشرة او من خلال جماعات فرعية تتبعها في الارهاب الدولي وتمارس أفعال تدخل ضمن معاني الأرهاب أو تحرض عليه أو تشرع فيه فلا تستطيع أكماله لسبب لادخل لأرادتها فيه، او تشترك في المساهمة الفعلية .

وبالنسبة للارهاب ففي الوقت الذي يشير السكرتير العام للأمم المتحدة الي ضرورة الانتهاء من إتفاقية مكافحة الأرهاب وتوقيعها وتنفيذها استنادا الى تعريف واضح ومتفق عليه للارهاب باعتباره اي عمل يستهدف القتل او التسبب في ضرر جسماني بالغ موجه للمدنيين او غير المحاربين بهدف ترويع السكان او اجبار الحكومة او منظمة دولية علي القيام بعمل او الامتناع عنه، فأن هناك عدة تعاريف، وعدة وجهات نظر بهذا الخصوص.

في تعريف للدكتور عمرو أسماعيل منشور على الأنترنيت: ((أن استهداف المدنيين في اي عمل هو ارهاب.. سواء كان المبرر هو المقاومة أو غيرها..مقاومة محتل أو حكومة ظالمة.. وحتي استهداف المدنيين بحجة الحرب علي الارهاب هو في حد ذاته أرهاب..

ويقدم لنا الدكتور محمود شريف "بسيوني" رئيس المعهد الجنائي الدولي للدراسات العليا في العلوم الجنائية (ISISC) في مدينة سيراكوزا بأيطاليا والتابع للأمم المتحدة، تعريفا حديثا حيث يقول: أن "الارهاب هو استراتيجية عنف محرم دوليا تحفزها بواعث عقائدية (ايديولوجية) أو تتوخى احداث عنف مرعب داخل شريحة خاصة من مجتمع معين لتحقيق الوصول إلى السلطة أو للقيام برعاية لمطلب أو لمظلمة بغض النظر عما اذا كان مقترفو العنف يعملون من اجل انفسهم ونيابة عنها ام نيابة عن دولة من الدول.

ويمكن القول ان غياب الاتفاق الدولي على الحد الادنى من الاتفاق على تعريف شامل ومتفق عليه للأرهاب، وقف حائلا حتى الآن دون تبني تعريف مقبول لمصطلح الارهاب من قبل المنظمات الدولية المعنية بهذا الامر، وكان هذا هو الحال فيما يتعلق بتعريف ظاهرة العدوان.

وتكمن المشكلة الرئيسية في تعريف الارهاب بدرجة معينة من الوضوح والدقة في انه، كما يشير إلى ذلك الفقيه القانوني ليليش" كان حتى الان "جملة من الافعال التي حرمتها القوانين الوطنية لمعظم الدول، اضافة إلى افعال معينة جرمتها.. اتفاقيات دولية على وجه التخصيص.

وهكذا، وخلافا لما هو عليه الحال بالنسبة لعدد متزايد من القوانين الوطنية حيث يعتبر الارهاب جريمة بحد ذاته، فان الحال ليس كذلك في القانون الدولي حيث يبدو الارهاب مجرد تسمية أو خطة ينضوي تحتها عدد من الجرائم المعرفة تماما.

فكما هو معروف فان اتفاقية منع ومعاقبة الارهاب لعام 1937م. الموقعة تحت رعاية عصبة الامم المتحدة كانت اول محاولة لتقنين الارهاب على الساحة الدولية. لكن لم يكتب لها النجاح ولم تصبح نافذة المفعول نتيجة لعدم تصديقها الا من قبل دولة واحدة فقط.

كما ان تلك الاتفاقية بما فيها من مزايا ومثالب، لم يتم احياؤها أو المناداة بها من قبل اية دولة بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية وتأسيس الامم المتحدة عام 1945م، لكن بعد تأسيس هيئة الامم المتحدة اتخذت الجمعية العامة كثيرا من القرارات المتعلقة في موضوع الارهاب الدولي، وكذلك تم التوقيع على اتفاقيات دولية قائمة متعلقة بمختلف جوانب مشكلة الارهاب الدولي، ومن بينها الاتفاقية المتعلقة بالجرائم وبعض الاعمال الاخرى المرتكبة على متن الطائرات الموقعة في طوكيو في 14/ ايلول 1963م... الخ. وجميع هذه الاتفاقيات والقرارات تشجب جميع الاعمال الارهابية بما فيها الاعمال التي تتورط الدول في ارتكابها بشكل مباشر أو غير مباشر، والتي تشيع العنف والارهاب، وقد تؤدي بالارواح البشرية الى الهلاك وتسبب اضرارا مادية تهدد سير العمل الطبيعي للعلاقات الدولية.

اذاً فالارهاب هو استخدام طرق عنيفة كوسيلة، الهدف منها نشر الرعب على اتخاذ موقف معين أو الامتناع عن موقف معين، وفي قانون العقوبات العراقي المرقم 111 لسنة 1969 المعدل فأن أحكام القانون تسري على جميع الجرائم التي ترتكب في العراق أذا وقع فيه فعل من الافعال المكونة لها، او اذا تحققت فيه نتيجتها، أو كان يراد ان تتحقق فيه، وفي جميع الأحوال يسري هذا القانون على كل من ساهم في جريمة وقعت كلها او بعضها في العراق، ولو كانت مساهمته في الخارج سواء كان فاعلا او شريكا.

ويشمل هذا الأختصاص جميع اراضي الجمهورية العراقية وكل مكان يخضع لسيادتها بما في ذلك المياه الاقليمية والفضاء الجوي الذي يعلوها، كما تخضع السفن والطائرات العراقية لأختصاص جمهورية العراق الاقليمي أينما وجدت. وأورد الباب الثالث من القانون في باب الجريمة، ضمن أحكام الفصل الأول (الجرائم من حيث طبيعتها) تقسيم الجرائم الى

عادية وسياسية، وعرفت الفقرة الأولى من المادة 21 الجريمة السياسية بأنها الجريمة التي ترتكب بباعث سياسي، أو تقع على الحقوق السياسية العامة أو الفردية، وفيما عدا ذلك تعتبر الجريمة عادية.

وحسماً للأمر وحتى تكون الأمور أكثر وضوحاً فقد نصت الفقرة الثانية من نفس المادة على عدم أعتبار الجرائم المدرجة أدناه من الجرائم السياسية ولو كانت قد ارتكبت بزعم أو بباعث سياسي:-

1- الجرائم التي ترتكب بباعث أناني دنيء.

2- الجرائم الماسة بأمن الدولة الخارجي.

3- جرائم القتل العمد والشروع فيه.

4- جريمة الأعتداء على حياة رئيس الدولة.

5- الجرائم الأرهابية.

6- الجرائم المخلة بالشرف كالسرقة والأختلاس والتزوير وخيانة الأمانة والأحتيال والرشوة وهتك العرض.

وهكذا أعتبر قانون العقوبات جرائم الأرهاب من الجرائم العادية التي لاتنطبق عليها مواصفات الجريمة السياسية. ويمكن تعريف الجريمة السياسية بشكل عام على أنها: ((الفعل الذي يريد تحقيقه الجاني بشكل مباشر أو غير مباشر هادفا إلى تغيير الوضع السياسي للدولة أي إلى إقامة وضع على صورة تختلف عن صورته القائمة بالفعل والتي يفترض في الظاهر أن الكثرة الغالبة من المواطنين تقرها، بحيث يشكل اعتداءا على النظام السياسي أو الاقتصادي أو الاجتماعي للدولة))، ولذلك، فإن الاتجاه العالمي مستقر على استثناء عقوبة الإعدام في الجرائم السياسية أي عدم تطبيقها على المجرمين السياسيين، وكذلك عدم تعريضهم للعقوبات التي تترافق مع الأشغال الشاقة أو الحبس مع الشغل في السجون، فهم يحبسون فقط دون أن يشغلوا، كما أن المجرمين السياسيين يشملهم العفو أكثر من غيرهم (في الدول الديمقراطية طبعا) وكذلك فإن أكثر التشريعات تمنع تسليم المجرمين السياسيين.

وحدد القانون في المادة (47) منه تعريفاً محدداً للفاعل الأصلي للجريمة فعد من ارتكبها وحده او مع غيره، او من ساهم في ارتكابها اذا كانت تتكون من جملة افعال فقام عمدا اثناء ارتكابها بعمل من الاعمال المكونة لها. ومن دفع باية وسيلة شخصا على تنفيذ الفعل المكون للجريمة، اذا كان هذا الشخص غير مسؤول جزائيا عنها لأي سبب.

وعاد القانون ليحدد ضمن نص المادة 48 الشريك في الجريمة فعد كل من:

1- من حرض على ارتكابها فوقعت بناء على هذا التحريض.

2- من اتفق مع غيره على ارتكابها فوقعت بناء على هذا الاتفاق.

3- من اعطى الفاعل سلاحا او الات او اي شيء آخر مما استعمل في ارتكاب الجريمة مع علمه بها او ساعده عمدا باي طريقة في الاعمال المجهزة او المسهلة او المتممة لارتكابها.

كما عد القانون كل شريك كان حاضرا اثناء ارتكاب الجريمة او ارتكاب اي فعل من الافعال المكونة لها بحكم الفاعل الاصلي للجريمة.

ويلاحظ ان السمة الغالبة على الجرائم الإرهابية المرتكبة تتسم بالتعدد فالفعل الواحد يكون جرائم متعددة، مما يوجب أن تكون العقوبة رادعة وتتناسب مع حجم الجرائم الأرهابية المرتكبة، كما يأخذ الإرهاب صورا عديدة منها العنف المصحوب بالقسوة، والترويع والتخويف ماديا أو معنويا، والتهديد بأشكاله المتعددة، إذ أن الإرهاب بدأ يستعمل أسلحة خطيرة وتهدد المجتمع الإنساني، بالإضافة إلى استغلاله التكنولوجيا وما وفرته من معلومات استغلالا سيئا وإجراميا بقصد أحداث أكبر الأذى والضرر في أكثر عدد من أعضاء المنظومة البشرية.

ارهاب وتطوره في العالم وصولا الى العراق

تفاقمت العمليات الأرهابية في الفترة الأخيرة من العصر الحديث، وكبرت المعاناة الأنسانية جراء نتائج تلك الأعمال التي أتسمت بنتائجها الأجرامية وأنعكاسها الوخيم على حياة الناس، وتوسعت رقعة المساحة التي تمارس فيها التنظيمات

المتطرفة والمجموعات الارهابية أفعالها في أرتكاب عمليات القتل غير المحدد والطائش، وفي عمليات الخطف والتفجيرات والذبح والتي طالت الأبرياء والمدنيين من البشر، ومما زاد من فاعلية هذه الاعمال الأرهابية وجود دول وتنظيمات ومؤسسات وشخصيات تساند بشكل علني أو خفي او بشكل غير مباشر الأعمال التي تصدر عن هذه التنظيمات، بالنظر لتقاطع المصالح الدولية وأستغلال مثل هذه التنظيمات لغرض أرباك الخصم، وأعتبارها أوراق يتم التعامل بها ضمن اللعبة الدولية وحرب المصالح السياسية والأقتصادية والتصفيات الشخصية، بالأضافة الى دور رد الفعل الذي يعبر عن الموقف الصادر من دول تحارب الأرهاب بشكل علني ومباشر، ودول أخرى تحاول أن تتقي شره وتأثيره على حياة الناس وأمنهم في منطقتها فتسلك طرقاً غير مقبولة من إجل ذلك، فالموقف الدولي من الأرهاب وأن كان بشكله العلني يتجه نحو التكاتف والأتفاق على محاربته ونبذه وملاحقة عناصره، الا أن الحقيقة المرة تكمن في أن العديد من الدول تتقسم بين المتملق

والمحايد والمتردد في مواجهته للتنظيمات الأرهابية في هذه الحرب، وبين من يقف معه بشكل خفي وغير مباشر ولكنهذواضح.

واستغلت هذه التنظيمات الأرهابية القضايا القومية والدينية لتأجيجها وأتخاذها ستاراً وبرقعاً لتغطية أعمالها وأهدافها، وبذلك أتسعت المساحة الفاعلة للعمليات الأرهابية، وانفلتت تنظيمات متطرفة كانت تتخذها الولايات المتحدة الأمريكية عوناً في محاربتها الأتحاد السوفياتي لأضعافه، بقصد الطرق على قواته التي كانت تحتل أفغانستان في حينه لأرباكها وأشغالها، بالأضافة الى كونها معركة خفية بين المعسكرين الدوليين، وبعد ان رحلت القوات السوفياتية عن افغانستان، وبعد أن انحلت الرابطة العقدية لدول الأتحاد السوفياتي، انقلبت تلك التجمعات والمنظمات على الراعي والمساند والصانع لتنقل شرورها الى أراضيه والأراضي التي انتشرت خيوطها التنظيمية فيها، لتروع الأنسان ضمن عمليات أرهابية سجلها العالم بمرارة وبشاعة يتم ممارسة العنف من خلالها بشكله العشوائي والأعمى والبشع ضد كل البشر دون تحديد أو قيود، وتطورت ظاهرتي العنف والأرهاب في الفترة الأخيرة لتنتقل بشكل سريع من منطقة الى أخرى بحكم ظروف المنطقة او تواجد عناصر أرهابية فيها، ومايلفت النظر توفر الأموال والسلاح والقدرات الفنية في تجهيز جوازات السفر وسمات الدخول والأتصالات والبطاقات المزورة والأمكانيات الفنية والتقنية، بالأضافة الى توفر الأمكانيات البشرية المتمثلة في وجود أعداد من المتطوعين للقتال ضمن أعداد المنتمين الى هذه التنظيمات، وكما توفر للتنظيمات أعداد أخرى من البشر ممن تم غسيل دماغهم، فعاد بعض لايفهم غير مايتم شحنه من صور ومفاهيم ومخططات يتم أدخالها ضمن أساليب بعيدة عن أعتماد المنطق والحقيقة، و يكون فيها الدين الواعز والوسيلة والدافع والناتج الذي يتم غسيل دماغ الأنسان بمفاهيم يتم تشويهها للتأثير على بعض من العناصر المتسمة بضعفها وسهولة أنقيادها، وخصوصاً العناصر المراهقة.

كانت اعمال العنف والأرهاب الدولي قائمة وموجودة خلال الحرب الباردة بين القطبين الدوليين، الولايات المتحدة الامريكية والأتحاد السوفياتي، ولكنها بشكل خفي ويحرص المتصارعان على أخفاءها والأدعاء بتجاوزها ومحاولة تحجيمها، ولكن الأمر بدا أكثر توسعاً ووضوحاً في بداية الخمسينات والستينات من القرن العشرين حين أنتشرت عمليات خطف الطائرات وأحتجاز الرهائن من المدنيين والتهديد بالقتل لأطفال المدارس كوسيلة من وسائل تعتمدها منظمات وتجمعات سياسية متطرفة بأعتبارها وسيلة من وسائل العمل السياسي او الديني، بالأضافة الى تفجير القنابل وسط حافلات النقل والقطارات والمطارات ومحطات النقل والمترو، بأعتبارها اماكن يتجمع فيها اكثر عدد ممكن من البشر المدنيين، كوسائل أرهابية لتحقيق غايات سياسية أعتقاداً منهم بأنها تحقق اغراضها في نشر الرعب والخوف ليس في مفاصل الدول العدوة للتنظيمات الأرهابية والمستهدفة منها، بل من اعداء هذه التنظيمات ومن الناس الآخرين.

والمتمعن ملياً في مفاصل حركة التاريخ الأنساني، يجد أن الأرهاب في المنطقة العربية يطرح أهدافاً وبرامج لاتتفق ولاتتطابق مع واقع الحياة وتطور الأنسان في المنطقة، ويتعارض كلياً مع حقوق الأنسان، بالأضافة الى مساهماته غير المباشرة في توطيد وتثبيت مصالح الشركات الدولية والدول الكبرى في المنطقة، لابل يكون سبباً غير مباشر في مجيء القوات الأجنبية الى المنطقة.

لقد اتخذت التنظيمات المتطرفة طريقا خاصاً تمارس خلاله دورها وتطبق سياستها المتمثلة في السرية الشديدة وسيادة الفكر الواحد غير القابل للنقاش وعدم قبول التحاور، وما على الخصم الا الرضوخ للرأي المطروح بالقوة، وأن هذه المنظمات والمجموعات ترى أنه لايمكن لها أن تحقق أهدافها وسياستها مالم تجنح الى القوة والعنف والأرهاب كطريق يوصل الى الغايات المنشودة.

العديد من الدراسات أشارت الى أن الأوضاع الشاذة تولد تنظيمات شاذة، وأن العنف الذي تمارسه السلطات يولد رد الفعل الموجود لدى التنظيمات الأرهابية، والسلوك المنافي والمتناقض مع حقوق الأنسان، بالأضافة الى كبت الرأي والحرمان من التعبير بشكل صادق وبحرية والتعارض مع الديمقراطية وحرية الرأي، بالأضافة الى عدم ضمان الحريات التي نصت عليها الدساتير واللوائح الدولية، ونادت بها الأحزاب والتجمعات، كل هذا يولد الأرهاب والعنف الذي تمارسه هذه المجموعات والتي هي نتاج ورد فعل لهذه السياسات المتعارضة مع حقوق الأنسان.

ومما لاشك فيه ان التناحر المذهبي في العراق بشكل خاص وأن كان ناراً تحت الرماد، الا انه تم تأجيجه من قبل الأعلام العربي المريض والمبتلي بالأبتعاد عن الموضوعية والحيادية، كما تم تأجيجه أيضاً من قبل بعض السياسيين ممن يشعرون بعدم وجود أرضية وقاعدة تساندهم، و كذلك من بعض العراقيين ممن لاأوراق لديهم أو لحسابات غاية في الشخصية والمصلحية ليكون ورقة رابحة ضمن عمليات التجاذبات والتحالفات السياسية وحسابات الربح والخسارة، وأستجابة لرغبات حكام ومالكي القنوات والصحف في أحيان أخرى، فقد كانت ورقة الطائفية والمذهبية الورقة التي لعبت سلطة صدام دورها غير النظيف عليها، ووظف جهاز المخابرات العراقي الصدامي أقساماً تفردت في معالجة القضايا الطائفية وترويجها والأستناد على فرق دينية على حساب مذاهب وفرق أخرى، وتوظيف رجالات دين وقيادات دينية في سبيل ذلك، ولم يزل اهل العراق يحاولون تلافي نتائجها السلبية في ظل الوضع الحالي المؤقت للعراق حيث يتناقض معها السعي لبناء دولة ديمقراطية تؤمن بتحقيق القرارات التي تضمن حقوق الأنسان وتحقق الفيدرالية الخيار المستقبلي للعراق.

وبنتيجة الأضطهاد والسيطرة على التجارة والصناعة في بلدان العالم الثالث من قبل بلدان العالم المتمدن، يدفع أيضاً بهذه التنظيمات من قبل الأقطاب ذات المصالح للتطرف في السلوك الأنساني لمواجهة مصالح البعض والحد من انتشار قواتها وشركاتها ونفوذها العسكري في المنطقة كورقة من أوراق الصراع الدولي، وأعتماد وسائل الأرهاب التي صارت سمة تتميز بها تلك التنظيمات لتعبر عن حقيقة أعتقادها في التعبير عن هذه الوسائل، حيث لاتلبث تلك التنظيمات أن تتفاخر وتتباهى قيامها بعمليات أرهابية ينتج عنها موت أبرياء ومدنيين،أضافة الى مايدخله من روع وأرهاب في قلوب الاخرين , ولم يقتصر الأمر على العمليات الأرهابية بل تعداه الى تمكين هذه التنظيمات أيصال صوتها وبياناتها وخطاباتها وأشرطة الفيديو تيب الخاصة بأفلامها عبر الأنترنيت بواسطة صفحات مخصصة لها، بالأضافة الى تمكنها من أستمالة جهات تشرف على بث فضائيات وصحف عربية على الأغلب تتمكن من أيصال صوتها وتهديداتها بسهولة ويسر تحت غطاء الحرية ومتابعة الحدث مع ملاحظة ميل نفسي غريب للمشرفين على هذه القنوات لتقبل بث الأخبار عن انتصارات تحققها التنظيمات الأرهابية على مواطنين أبرياء وعمليات تخريبية تطال اماكن عامة وبنى تحتية، كما طورت أعمالها بأتجاه توسيع دائرة الأرهاب الدولي حين تقدم هذه التنظيمات المتبرقعة تحت مزاعم وستائر الدين الأسلامي بتصوير عمليات القتل والذبح بطريقة النحر بالسكين للرهائن من المدنيين، وتوسيع دائرة خطف الأجانب وطلب تنفيذ رغباتهم وتمنياتهم مقابل هؤلاء المدنيين الاسرى، وبالتالي تصوير عمليات الذبح وجز الرؤوس وتسجيل التصوير على أشرطة ممغنطة (سي دي) وتوزيعها بكثافة بقصد بث الرعب والخوف والرهبة بين الناس.

يوما بعد آخر يتاكد بما لايقبل الشك أن الأنسان في العراق وتجربته الجديدة في الحياة الديمقراطية والفيدرالية من تستهدفه العمليات الأرهابية التي لابد لها من غطاء، والأنسان العراقي مدنيا كان أم عسكرياً، شرطيا كان أو سياسيا، ومستقلاً أو منتسبا لأحزاب سياسية، عاملاً فقيراً أو مسؤولا في الدولة، له شأن في العمل السياسي أو ممن لاحول له ولاقوة، الجميع مشروع للذبح والقتل والأختطاف من قبل التنظيمات الأرهابية، والجميع لايعرف متى ستترصده مجموعات

الاجرام والأرهاب وتجعله موضوعاً لتخطط له وتنتقم منه وتغتاله لتسلب منه حياته و لتحرم عائلته وأطفاله منه ومن مصدر عيشها، وأصبح كل مواطن في وضع غير آمن ويمكن ان يتم سلب حياته دون سبب أو بثمن بخس يتقاضاه القتلة..

وأستلمت الاطراف المتعاونة في تخريب العراق ومحاولة إيقاف مسيرته والتي تستهدف التجربة والأنسان معاً، تلك الإشارة بعد أن توفرت لها كل مستلزمات سطوتها وسيطرتها في الشارع العراقي بشكل ملموس عسكريا وأعلامياً، بالأضافة الى أرباك الشارع العراقي مستغلة ضعف القوات الأمنية والعسكرية، فتجمعت متكاتفة ومتحالفة لتنفيذها في وقت تتفرق فيه القوى السياسية الوطنية العراقية وتتصارع على أن تحتل أكبر مساحة من برلمان مؤقت تزاحم به الاخرين بطرق غير معهودة ومألوفة، وتساند دول عديدة هذه الأطراف المتعاونة في قتل العراقيين توفر لها ساحات التدريب وتسهيل عمليات عبور الحدود وتوفر لهم الوثائق المزورة والأموال والعناصر التي يمكن أن يتم استغلالها من بهائم أشتهرت بها هذه الأمة دون سواها، فيتم أعدادها كبهائم مفخخة تقتل كل من يقف بطريقها من كل الاحياء بشراً كان أو شجراً او حيوان، فكل شيء مستهدف بعد ان يتم تلغيم جسد المنتحر بكميات ناسفة كبيرة بقصد قتل اكبر عدد ممكن من العراقيين بغض النظر عن اديانهم وقومياتهم وجنسهم وأفكارهم السياسية.

تكاتفت الأطراف المتعاونة على الشر من اجل استهداف الأنسان في العراق بعد ان وجدت التراخي من المسؤولين العراقيين في القبض على المسؤولين السابقين في السلطة البائدة الذين ارتكبوا الجرائم الخسيسة بحق ابناء العراق، وبقي عناصر جهاز الأمن وقياداته وعناصر وقيادات جهاز المخابرات وقياداتها والأمن الخاص وقياداتها والأستخبارات وقياداتها وحزب البعث وقياداته مترقبين الملاحقة والمحاسبة والمحاكمة بعد التحقيق، وبعد ان تبين لهم أن الناس منشغلة بتوزيع الكراسي والوظائف، وان المنصب مايشغل هذه الجموع التي تراكضت تريد حجز مقعد لها أو مغنم لها قبل أن تستقر الأمور، تنفست هذه العناصر ودخل السرور قلبها فالناس في واد والأرهابيين والمجرمين وعناصر الأمن والمخابرات والبعثيين في واد آخر.

وليس أعتباطاً ان يتم افراغ مخازن السلاح العائدة للقوات المسلحة العراقية المنهزمة من قبل الناس أمام انظار القوات المحتلة، فلم يحدث في أي احتلال أن تقوم القوات المحتلة تمكين الناس أن تسيطر على مخازن الأسلحة العسكرية، وليس اعتباطاً ان يتم ابقاء الحدود سائبة ومفتوحة، كما ليس اعتباطاً ان يتم حل وحدات الجيش العراقي بكافة اصنافها، و كما تحل قوات الشرطة وقوات الحدود وعناصر شرطة الكمارك وشرطة المرور دون ان يكون هناك بديل، وليس اعتباطاً ان يتم انشاء جهاز للشرطة عليل وفقير لايتم توفير ابسط مستلزمات المواجهة أذ ليس هناك عدالة في التوازن مع مايملكه الأرهاب من قوة وأمكانيات، ليطلب منه المواجهة، وأذ يفتقر جهاز الشرطة والحرس الوطني الى التقنيات الفنية الحديثة في المواجهة، كما يفتقر للأمكانيات التي تتوفر للأرهابيين يصبح الأمر غير معقول في مواجهة بين قوات الشرطة العراقية الوطنية وبين عناصر الأرهاب المدعومة والمدججة بالسلاح والأمكانيات والرعاية الداخلية والخارجية، وليس اعتباطاً ان يتم القبض على عناصر ترتكب اعمال الشروع بالقتل والتفجير ليتم اطلاق سراحها لمعاودة عملها مرة اخرى، وليس اعتباطاً أن يتم تشكيل لواء عسكري بقيادة قائد من قادة الزمن الصدامي البائد وارساله الى الفلوجة، وليس اعتباطاً ان تبقى المرارة قاسماً مشتركاً في أرواح العراقيين حين يتم أغتيال المسؤولين يوما بعد يوم وتسجيل القضايا ضد مجهول، وليس اعتباطاً ان يتم التحاور وأحترام القتلة والسفلة والسوقيين على أعتبار أن هناك مقاومة شريفة وأخرى غير شريفة.

ولم يلتفت مجلس الحكم ولاالحاكم المدني السفير بول بريمر الذي منع وزير الداخلية أن يصدر قراره بمنع دخول المواطنين العرب الى العراق خلال فترة معينة بقصد حماية الناس وتحديد حركة الأرهاب، خجلاً من زعل الحكام العرب وعدم خدش التعاون العربي مع ان مايحدث من فجيعة أمنية تغزو الشارع العراقي حين يتمكن القتلة منازلة الحكومة وسط شوارع العاصمة، وبدلاً من أن يستقيل المسؤولين يستمر الوضع بهذا الشكل المسرحي، لينتقل الى الحكومة المؤقتة التي لم يكن حالها بأحسن من غيرها، فيشتد ساعد الأرهاب ويصير المجرم قوياً وذا تأثير ومحترماً أحياناً يجد العديد من الستائر والواجهات التي يتخفى بها، كما يجد من التعاطف ليس فقط العربي وأنما يتغلغل الى الداخل حيث تتكاتف معه المجموعات

المبتلية بالجرائم لصالح سلطة صدام البائد بأعتبار أنه يرفع شعاراً وطنياً وشرعياً، حتى صارت مؤسسات عربية مثل الجامعة العربية ورؤساء دول يستقبلون القتلة وقادة التنظيمات الأرهابية ومجموعات الخطف أستقبال الملوك بزعم معارضتهم للأحتلال، وصارت دول أجنبية تضفي على عناصر تفتك بالعراق والعراقيين مسحة المعارضين وتساندهم وتمنحهم الدعم السياسي ليس ايمانا منها بهم وليس موقفا متعارضا مع النظام الجديد، وانما موقفا يمثل التعارض مع الولايات المتحدة الأمريكية مالم يتم التنسيق في المصالح معها والتوجه المتطرف لقتل الأنسان على الهوية مرض لم يكن قد انتشر في العراق، وهو نتيجة لما كان النظام الصدامي يحقن به المجموعات التي علمها ووظفها وزرع فيها هذه الأفكار، حيث حقنها بأفكار العداء للأنسان والأستخفاف بالحياة الأنسانية، ولهذا قصد القتلة معتنقي الاديان من الأخوة العراقيين المسيحيين والأيزيديين والمندائيين بهدف قتلهم دون سبب سوى أيمانهم بدياناتهم وبالله الواحد الأحد الذي تؤمن به جميع الديانات في العراق.

وتزاحم شيوخ الجوامع العربية الذين قرروا اطالة لحاهم وتقصير ملابسهم ليصدروا أوامرهم للشباب العربي المغرر به والذي غاب عنه العقل والحكمة ومعرفة الحقائق ليقبلوا أن يصيروا بهائم مفخخة ليس لحياتهم معنى، ليقتلوا أكبر عدد ممكن من العراقيين اعتقاداً منهم انهم سيعبرون الى الجنة عبر أشلاء ودماء العراقيين، وبدعم واضح من بعض الأثرياء العرب الذين يجدون أن ثوابهم يأتيهم عبر دماء وأشلاء الفقراء من العراقيين.

وأظهرت لنا التحقيقات والمحاكمات خواء وعدم جدية المساهمة بأيقاف الأرهاب والأقتصاص من المجرمين ليكون العقاب القاسي رادعاً لغيرهم وليكونوا عبرة لمن أعتبر، ولتكون العقوبات بما يتناسب مع حجم الجريمة المرتكبة ووضع العراق الأستثنائي والشائك، فقد كانت التحقيقات لاتتناسب مع الخطورة الاجرامية لهذه التجمعات والعناصر، مثلما كانت العقوبات لاتمثل أدنى مستويات الردع.

ويوميا يعطي العراق ضريبة مستمرة من ابناءه البررة في الوقت الذي بقيت فيه الأحزاب تتنافس على أن تكون لها مراكز في الوزارات، وان تختلف على الوزارات السيادية والوزارات غير المهمة، وبقي الملف الأمني للأرهاب يتفاقم يوما بعد يوم مع ان منابعه معروفة وقياداته مشخصة دون ان يستطيع احد ان يتعرض لها بسوء، وسيبقى الملف الأمني هو الأكثر أهمية يسجل خسارة العراق لأولاده الأبرياء دون ان يجد من يوقف نزيف هذا الشريان الذي لايد لأهل العراق فيه.

الأمن ثم الأمن ومن ثم الامن، فمتى يتم الالتفات الى الأمن ويلتفت المسؤولين الى ان المواطن العراقي بلاحماية ولا سلاح ولا مصدات وخطط أمنية، وأن المواطن العراقي أعزل لاسقف يحميه سوى رحمة الله. ويبقى الملف الأمني والأرهاب الهاجس الأساسي والأول الذي يشغل البال في العراق، ودون مواجهة حقيقية وفاعلة وبعيدة عن الوعود والتخيلات لن تستطيع السلطة الجديدة أن توقف زحف الأرهاب، ودون مواجهة عسكرية بحجم القوة التي يندفع بها الأرهاب ويعمل وفقها في العراق.

كما يبقى الأرهاب من الافعال الاجرامية ضد الانسانية والتي ترقى لمستوى جرائم الأبادة الجماعية، سواء بالفعل او بالتحريض أو بالأشتراك أو بالشروع.

العراق في مواجهة الأرهاب

أن مايحدث في العراق هو نتاج الحقن الأجتماعي المدمر لشرذمة الحياة والذي خططت له السلطة البائدة طيلة الزمن التي تسلطت به على العراق، إذ كانت الدولة تمارس الإرهاب ضد الإنسان في العراق، وسلطت عليه العديد من الأجهزة الأمنية والمخابراتية بقصد بث الرعب في كل تفاصيل ودقائق حياته، وأستطاعت أن تخرب جزء كبير من المنظومة العرفية والأجتماعية وعمدت على أحلال محلها قيم بذيئة وخسيسة بقصد تخريب المجتمع وبذر قيم الشخصية المتناقضة والمريضة بين أوساط المجتمع، الذي رزح تحت نير الطغيان والطائفية والجور بصمت قاتل، كذلك الأمر يبين حجم التنسيق بين القوى المتطرفة والأرهابية وبين عناصر الأمن والمخابرات التابعة للنظام البائد.

كما استطاعت السلطة أن تنشر الإرهاب والرعب في المفاصل السياسية والاجتماعية والاقتصادية، وتدخلت في أدق تفاصيل حياة الناس وحرياتهم ولقمة عيشهم، ودمرت منظومة القيم الأخلاقية، وهرست بإقدامها ليس ما قررته لوائح حقوق الإنسان ,إنما حتى النصوص الدستورية التي وضعتها في دستورها المؤقت.

أن ماحدث هو النتيجة الطبيعية للتصادم الحضاري بين قوى الخير والشر، وبين تطلع الناس الى مستقبلهم وبين الحثالة الفكرية والرواسب والشوائب التي ترسبت نتيجة الزمن غير القصير الذي حكمت به سلطة مثل سلطة صدام للعراق، والتي تمثلها عقلية سلطة بعقلية إجرامية ومنحرفة والتي بثها وحقنها في عقول البعض من الناس، وزرعها في قلوبهم ووظفها على هذا الأساس، وزرعها نفسياً وفق مخططات مخابراتية أعتمدت دراسات وخبرة لعلماء نفسانيين وعلم أجتماع وخبرات مخابراتية أجنبية بقصد وضع لمسات التخريب الجمعي للمجتمع العراقي، خمسة وثلاثون عاماً وصدام يوظف أجهزة الأمن العام والمخابرات والأستخبارات والأمن الخاص والأجهزة الخاصة وأجهزة الحزب لصالح قضية أرهاب المواطن العراقي وأذلاله وتطويعه وأدمانه على هذا الأذلال وأقراره كونه صار جزءاً منه، بحيث يوصله الى مرحلة لايمكنه الحياة دون أن يجد من يذله أو يقسو عليه أو يرهبه على الأقل، فيجد فيه جزء من شخصيته وحياته التي أعتادها، ويمعن أولا وقبل كل شيء في سبيل أذلال منتسبي هذه الأجهزة مهما كانت منزلتهم ودرجة اهميتهم، فكل عنصر من عناصر هذه الأجهزة مهان وذليل أمام سلطة صدام وعائلة صدام، وهذا العنصر المهان يعكس أذلاله وأهانته على الناس بموافقة السلطة وبمعرفتها وربما بأوامرها.

يستطيع أي عنصر من هذه العناصر أن يستدعي من يشاء من الناس دون قضية، ويستطيع أيضاً أن يقتاد من يشاء دون أمر، لابل يستطيع أن يوقف ويحجز من يشاء دون تهمة ودون قرار من قاضي، ويستطيع أن يقوم بتعذيب أي مواطن حتى دون تهمة أو حتى شبهة، كما يستطيع مصادرة الأموال والأرواح دون أن يتدخل أي مرجع قضائي أو حكومي مهما بلغت أهميته.

فالمواطن العراقي مرعوب من أسم الجهاز الأمني ويمتلأ عقله بأرهاب من عمل تلك الأجهزة وثقته بضياع الحقيقة في دهاليزها، مثلما يبقى المواطن العراقي مرعوب من كل شخص يعمل ضمن هذه الأجهزة، أو حتى كونه مخبراً أو صديقاً لهذه الأجهزة، مجرد حالة الرعب تثير الأطمئنان والرضا في عقل صدام وسلطته، العنصر الذي يعمل في الأجهزة الأمنية فوق القانون، ولايخضع لمسائلة القانون وهو مصان غير مسؤول، مع أن صدام لايمكن أن يطمئن قطعاً لعناصر هذه الأجهزة مطلقا، وهو يريد نشر الرعب داخل الأجهزة الأمنية وداخل المجتمع العراقي سوية، وهذا الأنتشار يحقق له غاية نفسية من الأطمئنان في عملية الترويع المتبادل، بالأضافة الى أحساسه في أكمال رغبة عارمة ودفينة داخل نفسه الشريرة والمتناقضة، وتشفياً وأرتواء روحي طالما كان يحلم به لمرض خطير يسيطر على عقله وكوامنه الداخلية، ولم تستطع كل الأحداث التي جرت في العراق أن تشبع جزء ولو يسيراً منه.

ثمة حقن كثيرة يتم أدخالها في عقول القائمين على هذه الأجهزة وعلى العناصر العاملة فيها، منها أن المواطن العراقي مرعوب لحد الخرافة من هذه الأجهزة وهو بالتالي يكتفي شرها ويحاول الأبتعاد عن كل مايثيرها أو يستفزها أو يضعه تحت مسؤوليتها، ويحسب لها ألف حساب حين يتعلق الأمر بقضية أو معلومة أو أشارة منها تجاه هذا المواطن أو عائلته، وبالرغم من كون هذه الأجهزة يفترض ان تجسد اسمها في حماية أمن المواطن الا انها تمكنت من بث الرعب والأرهاب في روحه الممتلئة رعباً وخوفاً منها ومن السلطة.

كنا نشاهد ونلمس الغطرسة والغرور والعنجهية التي تطغي على عقول منتسبي هذه الأجهزة في التعامل اليومي مع المواطن العراقي أو مع الأجهزة الحكومية نفسها، ولكن ثمة حقيقة يتم التستر عليها وهي أن منتسبي هذه الأجهزة كانوا منخورين من الداخل ومجوفين وتم وضعهم في قالب ضمن آلية معدة سلفاً ضمن مفاهيم أجتماعية وأمنية وسياسية وعلى ضوء دراسات وأبحاث أعتمدها الطاغية في سبيل ذلك الأمر، وكانوا بنفس الوقت تتلبسهم أفكار الخوف والرعب من

السلطة ذاتها فأنهم أيضاً مرعوبين من تفرغ الجماهير العراقية والألتفات نحوهم والأقتصاص منهم مثلما كان احدهم يخاف من الآخر ويخشاه ويراقبه.

ومن خلال ذلك جندت السلطة جيش من الرجال والنساء ممن أرتبطوا ذهنياً وشخصياً بآلية العمل الأمني وأصبحوا تحت السيطرة النفسية لهذه الآلية الأمنية، فهي التي تتحكم بسلوكهم وشخصياتهم، وهم بغير هذه الألية والأجهزة لايمكن أن يجدوا أنفسهم، اذ ليس لهم آية قيمة في المجتمع دونها، فهم لايؤثرون ولايتاثرون وهم اشبه بالمنقطع عن مجتمعه أو بالقطيع التائه الذي ليس هناك من يقوده، وليس لهم من المواهب السياسية أو الثقافية أو الأجتماعية مايؤهلهم للأندماج داخل مجتمعهم مرة أخرى بعد حالة الفصام الأجتماعي الذي صاروا اليه.

ودون معالجة حالتهم كحالة خاصة جديرة بالأنتباه وألأهتمام سيكون رد الفعل مستمرا في العمل التخريبي وأرباك الحياة العراقية مستقبلاً.

إن الظروف المتوفرة لهذه العناصر من المال والسلاح والخطوط السرية الممدودة والشبكات العالمية للأرهاب والحقن المستمر والاندفاع الكامن في نفوسهم، كل هذا يؤهلهم للأستمرار في العمل على أحداث التخريب وزرع الموت في أوساط العراقيين حتى بعد رحيل القوات الأجنبية وقيام الدستور والبرلمان والحكومة.

أن مخططات العمل المعدة لهذه المجاميع العراقية التي يتم توظيفها بالتعاون والأنسجام مع التنظيمات الارهابية والمتطرفة والأجرامية التي تم اطلاق سراحها من أحكامها الثقيلة داخل الساحة العراقية سيربك الحياة العراقية حتماً مستقبلاً، كما أن الحياة السياسية ستفقد بعض العناصر والرموز الوطنية نتيجة أفعال الغدر والخسة التي لاتتورع هذه العناصر عن الأقدام عليها في عمليات الأغتيالات والتفجيرات وأستغلال الوضع العراقي الفتي والقوة العراقية الجديدة التي تحترم الأنسان كقيمة عليا وتحترم حقوقه لما توفرت لها من فرصة الانتقام العشوائي ونشر الرعب والإرهاب بين الناس.

ويمكن العودة الى جذور الظاهرة الأمنية في العراق المجسدة للفعل الأرهابي (أرهاب السلطة)، فهذه العناصر لاينكر عراقيتها ولكن حصرها داخل مناطق معينة من العراق، جعلها تشعر بالتكتل المناطقي والطائفي والعشائري، كما جعلها تشعر بالخوف من أكتساح الجماهير لها، وجعلها كذلك تشعر بالقلق الدائم على حياتها وحياة اهلها من جراء تردي سمعتها الوطنية على مدى زمن ليس بالقصير كانت تشكل الأدوات القمعية للسلطات القمعية بشكل واضح ومكشوف للناس، ولذا فقد عادت لتلتقي من جديد مستغلة تجمعها وقربها وأرتباطها مع توفر مستلزمات العمل المضاد لحركة المجتمع العراقي كما قلنا آنفاً.

المشكلة لاتكمن في أختلاط المواقف في تقييم عمليات الأنتحار التي يقدم عليها بعض (البهائم المفخخة) في العراق، فالأمر لايعدو الا أرباك في الفهم أو الأعتقاد الخاطيء وعدم التبصر في عقل المنتحر القاصر، الذي اقتنع أن انتحاره ورحيله عن الدنيا (الفانية) سيكون معبراً للوصول الى جنان الخلد، وكلا الحالتين جدير بالأنتباه الأنتحار أو السبب.

وأذا أسلمنا بأن الأنتحار محرم شرعاً وممنوع قانوناً، فلم يحث الدين ليس فقط الأسلام وأنما جميع الأديان على أن يدفع أحداً الى الأنتحار، كما أن السبب الذي يتذرع به المنتحر أو التنظيمات التي تدفعه غريباً وواهياً لايجد له من وسائل الأقناع والمنطق الأنساني سنداً.

ربما بسبب شخصي مثلما أفاد به الشارع بالأنتحار السعودي الذي القي القبض عليه في مدينة السماوة (جنوب بغداد) حين افاد انه أدمن على المخدرات ولم يجد منفذاً لأنقاذه وعلاجه، ونصحه شيوخه بأنه ميت لامحال، فلماذا لايمت بعملية أنتحارية في العراق ويطرق باب الجنة، ولهذا لم يجد خياراً اسهل من هذا الطريق، وحين تقلب الزعم الذي أورده المذكور تجد أن بعض من رجال الدين يحاول أن يستغل الأحباط النفسي والأنكسار الذي يحيط بحياة العنصر لقيادته الى قدره، أو لربما أقتنع عن طريق تسلل مفاهيم شريرة تحت أغطية وأحاديث دينية لغايات تكمن في نفس يعقوب، أستطاع بعض شيوخ الدين أن يغرسوها داخل روحه المستجيبة بسذاجة لهذا الغرس المتنامي يومياً والمنتشر بين أوساط الشباب العربي.

وأذ تعج المناطق المتخلفة في العالم بالأفكار التكفيرية، مثلما تعج المنطقة العربية بوجود اعداد جاهزة ويائسة وقابلة للانسجام مع هذا المفهوم الديني الجديد لأسباب أجتماعية وسياسية عديدة، فقد تبلورت ظاهرة التطرف والنزوع نحو خلاص النفس من محيطها وواقعها العربي المزري بجنوح المنتحر الى توظيف جسده كوسيلة من وسائل الموت دون أن يتعرف على هويات أو اسماء الضحايا، سواء بواسطة ايهام المنتحر بحياة في الجنة أو بوعود يطرحها رعاة للأعمال الأرهابية أو بخلاص لحياة بشرية انغلقت امامها سبل الحياة التافهة سوى طريق الموت الذي يرسمه له المنظرين كوسيلة من وسائل رضا الله زيفاً وبهتاناً ايهاماً للمنتحر.

له مرجعاً دينياً يتم تقليده والأقتداء به، وقد نعجب أن اعراباً يقطعون كل تلك المسافات ويعبرون الحدود ويتركون بيوتهم ليقدموا على قتل العراقيين الذين سيموتون بأرادة الله حتما فليس بينهم من يؤبد الحياة، وقد نعجب لأعراب يتركون الحرب التي تشنها التنظيمات الأرهابية المتطرفة التي تتخذ من الدين الأسلام وتعاليمه السمحاء برقعاً وستاراً لتمرير أفعالها، لاتؤثر في جدران السلطات ولاالأنظمة الغربية التي تزعم انها تحاربها، وهذه الحرب موجهة ضد المدنيين والأبرياء الآمنين دون غيرهم، وبالتالي هي حرب موجهة من هذه التنظيمات المتطرفة التي توفرت لها كل مستلزمات القوة والأسناد الى الدفع والتغذية المعنويين، هذه الحرب موجهة ضد الأنسانية بشتى صورها، وأن الجرائم المرتكبة رغم بشاعتها وكارثيتها بحق الأنسانية لم تغير المسارات السياسية للدول ولم تستطع أن تجعلها تعيد النظر في أقتصادها أو في مسارات أنظمتها السياسية، كما لم تستطع أن تقنع أحداً بأنها موجهة ضد السلطات والحكام دون الجماهير المدنية.

غير أن مايلفت النظر أن وراء تلك الشبكات الأرهابية حكام دول وتنظيمات سياسية وشخصيات لاتشعر بأدنى خجل حين تشير بشكل غير مباشر مساندتها الى هذه التنظيمات الأرهابية بحجة الأنتصار الى الأسلام والعروبة، مع انها تمارس الشيزوفرينيا السياسية في الموقف المتناقض، حين تزعم التزامها بحقوق الأنسان ومحاربتها للأرهاب من جهة، وتغذيتها لهذه التيارات الأجرامية التي أخذت تنتشر في المنطقة العربية وتتفرع منها منتشرة مثل الوباء من جهة أخرى.

هذه التنظيمات تجد لها من يساندها من الصحافيين والفضائيات العربية التي تتكأ على مساند أجنبية، وتستقوي بالديمقراطية الأوربية، وتحتمي بالقوانين الأوربية، وتدعو الى تمجيد قتل الأبرياء، وتشيد بالقتلة وبالمجرمين تحت زعم تمجيدها للأسلام والمسلمين، وهذا السلوك المنحرف يعبر عن مدى الأنحراف في الممارسة السياسية، بالأضافة الى كونها تعبر عن أزمة نفسية وأخلاقية في أعتمادها اساليب غاية في الجبن والخسة حين تلجأ الى الخديعة والمخاتلة وأستغلال أنسانية الاخر في المواجهة، كما انها لم تزل تتخذ من عدة شعارات براقة غير أن ليس لها حقيقة حين تتخذ من غطاء مطالبتها برحيل الأحتلال ما يدفعها لتقديم الضحايا من الأبرياء سواء من المدنيين من اهل تلك البلدان ومن شتى الأديان، او من البهائم العربية المخدوعة التي يتم ارسالها الى الموت كأي بهيمة تموت وتقتل غيرها، مع أنها تعرف علم اليقين انها تستطيع ان تصطف مع القوى التي تطالب برحيل القوات الأجنبية وفق القوانين الدولية ومايمليه المجتمع الدولي في هذا الخصوص:

هل قيم الدين الإسلامي تدعو الى التطرف؟

هل قيم الدين الإسلامي تدعو الى الإرهاب وممارسة العنف؟

لا اعتقد ان صحيح الدين الإسلامي ينهج منهج العنف او يدعو الى قطع رؤوس الأبرياء او قطع اللسان او التمثيل في جثث الموتى،ربما كان هناك من يرى في الدين الإسلامي اتجاهاً يدعو الى التطرف والتعصب والغلو رغم ان النبي محمد(ص)نهى عن ذلك بقوله:إياكم والغلو في الدين. !! وهذا يتناقض كلية مع سلوك الجماعات الإسلامية الإرهابية التي تحفز المصلين الى الانتحار وتفجير انفسهم وإيقاع الأذى بالأطفال الذين يلعبون في ساحات المدارس او المرضى المراجعين للمراكز الصحية او المستشفيات،او الموظفات المتوجهات الى عملهن في مطار بغداد او اماكن أخرى او قطع رأس الدبلوماسي المصري الذي يمثل إحدى وسائل التطور الحضاري في التواصل الإنساني بين الشعوب والأمم والأقوام وتوطيد أواصر المحبة بين الشعوب،، ولنا وقائع عديدة يقوم بها التطرف الإسلامي المناهض لجميع التوجهات الإنسانية

والحضارية والتقارب بين الشعوب والذي تعارضه الاديان السماوية جميعها. هذا السلوك العدواني الصادر من الدين المتعصب الذي يدعو الى مزج الدين بالسياسة،والسياسة كما هو معروف تفرغ الدين من محتواه ويتحول رجل الدين الى منافق، كذاب، يبرر لأجل انتماؤه السياسي بغطاء الدين وإزاء ذلك هنا تتداخل القيم بالمعتقدات وتدعم احدهما الأخرى على أساس ان القيم تشير الى الحسن–مقابل القبح،والمعتقدات تشير الى الحقيقة مقابل الزيف،فإذا كان الدين الإسلامي حقيقة،فأن ممارسة العنف وقتل الأطفال وتشريد الأسر وذبح الأبرياء ما هو الا زيف الدين الإسلامي كمعتقد يؤمن بالقيم اللاانسانية التي لم يؤمن بها إي دين من الاديان السماوية او غير السماوية،وهذا ما يدعو له الإخوة ذوي الاتجاهات التعصبية المتطرفة ويمارسون الإرهاب كسلوك، لا تبدو البشاشة والتعبيرات الإنسانية على ملامحهم،ولا تبدو سمة تقبل الأخر في سلوكهم، أنهم رجال تخفي وجوها لحى كثة واسملة قصيرة لا تبدو عليها سمات الاحترام في الملبس والعطور التي آلف رسول الله (ص) ان تعبق من بدنه الطاهر وهو يلقى صحبه او عامة الناس ويبادرهم بالقاء التحية قبل الزائر القادم، انه سلوك المسالمة في الاسلام وقبول الآخر.لا نجد هذه السمات في الاسلام المتعصب الارهابي فهو لا يعترف بوجود الشئ وضده حيث يجتمعان في مسلك واحد في الحياة، ونسى هؤلاء الرجال من ذوي الاتجاهات الاسلامية التعصبية والذين يمارسون الإرهاب كسلوك ضد الاخرين،ان الحياة وحدودها قائم على التناقض وأوله الليل يعقبه النهار والموت مقابل الميلاد والأسود مقابل الأبيض والولادة مقابل الرحيل الطريق الأقصر الى الجنة،وهي استحالة في تحقيق هذا الهدف عند الناس الأسوياء.

أن ديمومة الأسباب التي تتوفر للتنظيمات الأرهابية سبباً من أسباب تكرار الكوارث الأنسانية والهجمات الأرهابية التي تشنها التنظيمات الأرهابية، بالأضافة الى وجود عوامل المساندة من العقول المريضة والمنحرفة، التي تمجد القتلة وتدعو لمزيد من القتل، وتمارس الإعماء في الذهن العربي لتزيدة تخلفاً وأفقاراً وأنحطاطاً، حين يتم توظيف الجسد البشري وتحويله الى كتلة من الموت الذي يقتل الآخرين دون تمييز، الأنسان الذي كرمه الله تعالى بالحياة وحباه وجعله متميزاً بقوله ((ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقنهم من الطيبت وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا)).

وحيث لاتوجد ضوابط أخلاقية وضميرية يمكن أن تحدد أعمال الأرهاب أو تردعه، فلا مقدس لدى الأرهابيين، ولاضوابط تستطيع أن توقف أو تحدد أعمالهم وطالما اعتبر الأسلام بيوت الله أماكن للعبادة و جعلها مدارس لتطوير الثقافة الأنسانية بكل فروعها المعرفية، وطالما اعطى المسلمين شيئاً من القدسية والتبجيل والأحترام لبيوت الله ولأضرحة الأولياء والأئمة، حتى كان الدخيل الى حرمة هذه الجوامع والحسينيات والأضرحة يجد الآمان من عدم وقوعه في قبضة السلطات أوالمطاردين، كما أنه يشعر بالأمن والآمان في حرم الجامع أو الضريح. ويتحتم على الداخل زيادة في التقديس والأحترام أن يخلع نعليه قبل الدخول، ويضع سلاحه وكل مامن شأنه أن يخدش أحترام أو قدسية المكان أو يخل بتقاليده المهيبة.

وقرأنا في التاريخ العراقي كيف كان المتظاهرين في العهد الملكي البائد يلوذون بأضرحة الأئمة والجوامع والتكايا فلاتطالهم السلطات التي تطاردهم حين تقف على الأبواب فيفلتوا من العقاب، ولم يتجرأ أحد أو سلطة من السلطات القامعة التي مرت على العراق أن تخرق هذه الاعراف والتقاليد والقيم التي كان العراقي يلتزم بها مع ان التظاهر ضد السلطات انتهى مع نهاية العهد الملكي وبداية العهد الجمهوري.

وحين حل علينا زمن الوباء الصدامي كانت كل الأضرحة والجوامع وبيوت الله مستباحة، فلا شيء محرم امام السلطات، ولاشيء أمامها غير ممكن حتى أن الطاغية العراقي كان يمعن في دخوله الأضرحة والجوامع بحذاءه والقيام بتمثيلية الصلاة دون وضوء وهو يرتدي الحذاء ويحمل مسدسه على خاصرته، وهو مايشير الى بدعة لم تحدث في الأسلام من قبل ولكن الجديد الذي يؤمن به صدام كان يختلف عن الاسلام والأديان السماوية الأخرى. كما كانت كتائب الحماية التي ظنها تحميه من غضبة الشعب تحمل اسلحتها وتدوس الجوامع والأماكن التي يسجد عليها عباد الله بالأحذية.

وكان رجال الأمن يدخلون الجوامع والحسينيات يلقون القبض على الشباب المتهمين بالأنتماء الى الأحزاب الدينية أو من كان يكثر من العبادة وقراءة القرآن كتهمة من التهم التي توصل الأنسان الى حبل المشنقة في زمن الحملة الأيمانية الصدامية.

وحين قامت أنتفاضة آذار 1991 في العراق وألتجأ بعض الناس الى الجوامع والأضرحة أعتقاداً منهم أنها ستحميهم مؤقتاً لما تعنيه من قداسة، فقد قام الجيش الصدامي ليس فقط بقصفها بالمدفعية والصواريخ، ,انما قام الجيش بدخولها وأستباحتها وتهديم العديد منها وقتل الناس بداخلها.

وبعد أن تخلص العراق من الطاغية البائد، ظهرت حالات مستهجنة بأن تتخذ بعض الحركات من بنايات الجوامع والحسينيات مقرات سياسية وشخصية لها، استباحة لقدسية المكان وتجاوزاً على حرمات الله، فتم تحويل الأماكن المقدسة في العراق لتخزين الأسلحة والمتفجرات والمواد التي تعمل على قتل الناس، وكمثال ما تم العثور عليه في جامع أم الطبول في بغداد حين تحول قبو المسجد الى مخابيء لأسلحة الأرهاب والقتل.

كما قامت بعض الجماعات المتطرفة بأتخاذ الأضرحة المقدسة أماكن لتجمعها وممارسة الرقص وطقوس الفرح وهي ترفع السلاح وسط الضريح المقدس، وقد ظهرت صور عديدة تشير الى هذه الحالات مما يعني أن قيم جديدة وأعراف دخلت عملياً الى العراق تبيح الأماكن المقدسة ولاتضع لأضرحة الأئمة الكبار أية قيمة أو أحترام حين تتحول أماكن رفاتهم الى مقرات عسكرية وتجمعات متطرفة يتم فيها تخزين الأسلحة والمقاتلين.

الأنسب أن نتذكر أن لبيوت الله قدسية ومكانة مبجلة في قلوب المسلمين، ومن الأجدر أن نظهر هذا التبجيل والأحترام في ترك بيوت الله لله، وأن لانتجاوز عليها بأية وسيلة كانت ولأي سبب كان.

والأنسب أن نحترم القيمة الدينية والتاريخية لهذه الرموز الكبيرة، وأن نجسد أحترامنا في عدم تحويل المكان الى وحدة عسكرية أو ثكنة.

ومن العار ان نتخذ من الاضرحة واماكن العبادة ملاذا لنا وحماية من التقابل مع الرجال، وحين نتخذها متاريس وسواتر نتوقع ان المقابل سيصيبها ويدمرها وذلك الفعل بسبب غير مباشر منا.

لذا ينبغي على رجال الدين الدعوة والأفتاء بعدم جواز أدخال الأسلحة والمسلحين الى الجوامع والأضرحة والروضات المطهرة، وعلى رجال الدين الأفتاء بتحريم تدنيس هذه الأماكن وأتخاذها متاريس في القتال مهما كانت أسبابه ودوافعه، وعلى رجال الدين أن تطلب القبض والتصدي لكل من يريد أن يدنس هذه الحرمات، وحتى تبقى هذه الأماكن تليق بعبادة الله والصلاة وتليق بالكبار من الأئمة المدفونين فيها يجب أن نجعلها خالية من مظاهر الأرهاب والموت والقتل وأشكال الأرهاب والسلاح والرصاص، وان نحترم ارادة الناس في ترك اماكن العبادة للصلاة والثقافة العلمية والدينية، فقد بدأ البعض بأسم الدين يسيء للدين، وبأسم الدين يحقق نوازعه ورغباته الشخصية وبأسم الدين يسيء لله ولكل قيم الأسلام والمسلمين.

أن هذه الأماكن التي يرفع فيها أسم الله ويؤذن فيها للصلاة ليست مباحة لأستعمالها مقرات للأحزاب والميلشيات والتجمعات العسكرية المتطرفة والأرهابية، ومن العار أن يتخذها أحد ستاراً وحاجزاً يحميه عند القتال فمن لايحترم بيوت الله لن يجد سوى نهاية البائسين.

ولكن هل الصحوة المطلوبة من رجال الدين في معالجة قضية الأرهاب وفصله عن التلبس بلبوس الدين وتشويه أسسه، تقتصر على صحوة رجال الدين الذين ساندوا العمليات الأرهابية وصوروها أنتصاراً للدين ؟ أم انه يشمل المختصين من علماء الأمة ورجال الدين الاخرين ؟

لزمن غير قصير أستمرت التنظيمات الأرهابية والعصابات ترتكب جرائم خسيسة ويندى لها الجبين بحق الأبرياء من اهل العراق بأسم الدين والأسلام زوراً وبهتاناً، حتى تحولت هذه الظاهرة الى عصابات تعيث في الارض فساداً فتقتل المسلم وتهدر دمه دون تحقيق او محاكمة او تهمة وتحل ماله وعرضه أستباحة، وصار حال الناس في بعض المناطق التي سيطر ت عليها عصابات الشر والأرهاب لفترة من الزمن لتنشر الخراب وتتسبب في تدمير ممتلكاتهم تحت سيف الأ{هاب.

كما أن استباحة دماء الأخوة المسيحيين والأيزيديين والصابئة المندائية لايمكن تبريرها سوى بالهوس الذي يسيطر على عقول المجرمين وقصور تفكيرهم، والأساءة الى الأسلام تحت شتى الحجج والذرائع، وأن ممارسة الفعل الأرهابي والأجرامي من قبل هؤلاء يدلل بما لايقبل الشك على الأنحطاط الأجرامي الذي وصلته عقلية المنخرط في التنظيمات الأرهابية وأستغلال قصور عقلة ابشع استغلال، فالرصاص ليس الوسيلة التي تهدم الفكروالدين والعقيدة، ولا الذبح يستطيع ان يثبت أركان المافيا التي تتبرقع تحت ستار الدين والوطنية، وان شراء الذمم والضمائر بات سمة من سمات هذا العصر، حين يتحول الضائع الى مجاهد والمنبوذ الى مقاوم، وحين يصير الساقط اجتماعياً أميراً وقائداً لمجاميع القتل والذبح.

لزمن غير قصير والأبرياء يوميا تستباح دمائهم في العراق دون ان يجدوا الصوت المختص بالوعظ والأفتاء وحماية دين الله من دنس الأرهاب حضورا أو وجوداً،وأن يقف رجل الدين الموقف الذي يتطلبه منه موقعه ومهمته النبيلة في الأرشاد والتذكير والتبصير، أو على الأقل يدعو للتذكير بحرمة الناس وطلب تغيير المنكر باللسان من اضعف الأيمان كما يقول الحديث الشريف.

راح ضحية أعمال الأرهاب أطفال في عمر الورود يشكون الى الله ليس فقط خسة قاتليهم، ولاالغباء المطبق الذي يكمن في ارواح البهائم المفخخة، وانما حتى في صمت رجال الدين ازاء مايحصل والساكت عن الحق مذموم وملعون في الاسلام لم تتحرك الضمائر حين أخذ الأعراب الوافدين الى العراق تسللا وخلسة أن يفجروا أنفسهم، أو حين تضحك قيادات الأرهاب على عقول بعض الشباب الذين يفجرون اجسادهم دون علمهم وموافقتهم، ولم تتحرك الضمائر الغافية حين حدثت مجازر كثيرة كان المقصود فيها قتل العراقيين الأبرياء، ولم تتحرك الضمائر النائمة حين حدثت مجزرة حي العامل وحين تم حرق وتفجير الكنائس والجوامع وهي جميعها بيوت الله، ولم تتحرك الضمائر حين قتل الناس الواقفين لشراء الخبز أو الجالسين في مجالس العزاء، ولم تتحرك الضمائر حين بقيت جثث بعض الشهداء مقطوعة الرأس على قارعة الطريق، لم تتحرك تلك الأصوات المسؤولة عن الأفتاء والوعظ والأرشاد حتى حين أدلى بعض السفلة من الأرهابيين بأعترافاتهم حول أغتصاب العراقيات، وقتل الناس الأبرياء لأسباب تافهة، وتأكيدهم بأن الأمير منهم لايمكن أن يصير أميراً مالم يذبح عشرة مواطنين، وأن عبد الله حنا الملقب ابو بكر قائد الأمة الأسلامية في جهادها.

أن ماتقوم به التنظيمات الأرهابية حرباً شعواء على الأسلام والمسلمين، ولايمكن أن تطغي الشعارات والستائر التي يتبرقعون بها على أحد ممن خبر وعرف نواياهم وغاياتهم وأفعالهم، وهم فوق كل هذا يسعون الى أرهاب الأسلام والأديان الأخرى بنماذج من القتلة والمجرمين ممن أشتهروا بسوء السمعة وتردي الخلق في بلداتهم ويسعون الى نشر الفساد في الأرض مما حق عليهم انطباق نص الآية 33 من سورة المائدة التي تقول ((أنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الارض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع ايديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا في الأرض وذلك لهم خزي في الدنيا وفي الآخرة عذاب عظيم)).

قبل فترة أفتى علماء الدين في مدينة الرمادي التي تشهد توتراً أمنياً بعدم جواز قتل المسلم من دون وجه حق،. وقال العلماء في فتواهم أمس انه «لا يجوز قتل المسلم المنصوص على حرمة قتله شرعاً بغير وجه حق». وفي الوقت الذي نثمن صحوة علماء الدين المتأخرة في الرمادي ندعو بصوت عالي كل علماء الدين في المناطق التي تشهد توترات أمنية وتزهق بها أرواح الأبرياء والضحايا من العراقيين أو من الذين يسمعون ويشاهدون مايجري من ذبح للأبرياء ومن أستمرار عمليات الأرهاب والأجرام وأيهام بعض العقول الغارقة في الغباء التي تفجر أجسادها لقتل أكبر عدد من العراقيين، أن يفتوا بما يبصر من تبقى في عقله شيئا من الوجدان والضمير، وأن يكونوا أكثر صراحة في الأشارة الى الآيات القرانية والأحاديث النبوية التي تحرم وتجرم الأرهاب وقتل الأبرياء والأنتحار، بالأضافة الى عقاب ومصير القاتل ومن يساهم في ترويع وأرهاب الناس.

من المسؤول عن الإرهاب في العراق ؟

لغرض استثمار عمليات القتل الموجهة ضد أهل العراق واستغلال المناسبات الدينية والتاريخية الوطنية التي يتجمع بها الناس لغرض إيقاع أكبر الخسائر بينهم، بدأت الأبواق التي تنسجم وتتناغم في فرحتها بموت العراقيين توجيه الاتهامات الى الولايات المتحدة الأمريكية كونها الطرف الذي يستفيد من العمليات في إدامة واستمرار الاحتلال في ظل الإرباك الأمني والوضع الاستثنائي للعراق وعلى إسرائيل المستفيدة من موت العراقيين وإرباك حياتهم الأمنية واستمرار بقائهم بهذه الشكل من عدم الاستقرار الممزوج بالخوف.

بعض الفضائيات العربية والصحف الصفراء تحاول أن تلوي الحقيقة وأبعاد الاتهام عن القتلة السفلة وعناصر الإرهاب والبهائم التي تعتقد ان لها دين مثل باقي البشر، وتحاول أن تجد ذريعة للدفاع عنهم وأبعاد الشبهات وذر الرماد في العيون، كما تحاول أن تحرف الأنظار عن متابعة هذه التنظيمات التي ابتليت بالإرهاب.

تتحمل أمريكا كونها البلد الذي يحتل العراق مسؤولية المحافظة على الأمن وضبط الحدود ومنع التسلل وتعزيز القوات الأمنية الوطنية وتأمين كفايتها من الأجهزة والمعدات للقيام بواجباتها، هذه الحقيقة و هذا ماقاله المرجع الديني السيد السيستاني وما يقوله العقلاء والحكماء في هذه الأمة التي ابتليت بالاحتلال والأرهاب الذي يتسلط عليها من أدعياء الدين ومن المتشدقين بمحاربة المحتل فيم يبالغون في ارتكاب الجرائم والتلذذ بسفك دماء العراقيين، ولكن هذا لايشخص القاتل الحقيقي والمجرم الذي علينا أن نفضحه أسماً وشكلاً وممارسة.

والمتمعن في الدفاع الباطل عن التنظيمات الأرهابية الذي يرد على لسان بعض المعلقين والكتاب في صحيفة عربية صفراء تنفرد بتسمية القاتل بن لادن بالشيخ والإرهابي الظواهري بالمجاهد والملا عمر أمير المؤمنين وتوزع الألقاب والصفات جزافاً، والمتمعن في رسالة الإرهابي الزرقاوي التي يحرض بها على القتل وزرع الفتنة ونشر السموم في حياة العراقيين دون أن يعفي أحد من هذا الموت الذي تتبناه تنظيماته الأرهابية باعتبار أن الموت والقتل هو الهدف الأساس والأراس في هذه التنظيمات، والمتمعن في العمليات الغبية التي تفجر بها البهائم البشرية أنفسها من أجل قتل أكبر عدد ممكن من الأبرياء العراقيين في الأماكن المقدسة، والمتمعن في الأصوات المبحوحة والرسائل المسعورة التي صدرت عن هذه النماذج النكرة التي تتبرقع باسم الإسلام دين السلام والمحبة دون أن تفهم حرفاً واحداً منه فقد مسح الله ضميرها وعقلها وسلب لبها فأصبحت كالأنعام والبهائم المسعورة لاتعي ولا تتلمس طريق الحق، ليس لها طريق سوى أن تلغ الدماء كالوحوش الأصيلة فيصبح موتها وموت الآخرين الوسيلة الوحيدة التي تفهمها وتعرفها وتجيدها، الرسالة المنشورة على صفحات الأنترنيت الموجهة من قبل مسعور يدعى (سلطان السديري) من المملكة العربية السعودية الذي يرقص ويوزع الحلوى لمقتل الشيعة العراقيين وسفك الدماء المسلمة في الشهر الحرام ووسط الأماكن المقدسة مثالاً لهذه العقليات التي تدعي زوراً اسلامها في هذا القرن الجديد.

العمليات التي زرعت الموت بانتحار بهائم في كوردستان لم تكن بقصد قتل الأمريكان، وعمليات البهائم في الإسكندرية (جنوب بغداد) لم تكن موجهة للأمريكان، وعملية قتل الشهيد الحكيم ومقر الأمم المتحدة لم تكن موجهة للأمريكان، وعمليات الانتحار في أسواق الحلة والدورة وبغداد الجديدة لم تكن بقصد قتل القوات الأمريكية أو الأجنبية، وعمليات قتل الناس في كربلاء والكاظمية لم تكن قطعاً بقصد ايذاء الأمريكان والعمليات التي تستهدف عمال وفقراء العراق لم تكن بقصد قتل الأمريكان او مس مشاعرهم بسوء، وإذ تتوضح نية التنظيمات الأرهابية في عدائها لكل مسعى باتجاه الخير والآمان، وكراهيتها لكل ماهو طيب من أعمال بين العراقيين وتتوجه بقصد الى الطبقات المعدمة والفقيرة والكادحة المنتشرة في الأوساط الشعبية، وإذ تشن هذه التنظيمات العمليات الحربية وبالإمكانيات المتوفرة لها، فأن الأمر يدعونا أن نضع جانباً من المسؤولية على عاتق القوات المحتلة في المحافظة على الأمن، بعد أن أقدمت قوات الاحتلال على قرارات ليس لها منطق ولا تبرير معقول في حل الجيش العراقي دون تصفيته من العناصر البعثية، وحل قوات الحدود دون

استغلالها في حماية الحدود، وحل قوات الشرطة والأمن الداخلي دون وجود البديل، وعدم سحب الأسلحة والمعدات العسكرية من أيادي الناس بعد ان يطمأنوا الى الآمان وسيادة القانون في البلاد.

هذه المسؤولية تقع على عاتق ورقبة المحتل، الذي يتحمل مسؤولية المحافظة على الأمن بعد أن أقدم على بعثرة الأجهزة القادرة على حماية الوضع الخارجي والداخلي دون أن يفكر بالبديل مع أن دراسات عديدة قدمت تحذر المحتلين من الأقدام على مثل هذه القرارات.

وإذ تحاول التنظيمات الأرهابية التي تفضح نفسها في سرورها البالغ بسفك دماء المسلمين من أهل العراق في الشهر الحرام وفي الأماكن المقدسة وفي المناسبات المقدسة، وإزاء تفجير البهائم لأنفسها دون رادع ضميري أوأنساني، فانها تدلل قطعاً إنها تلتزم بدين غير الإسلام لايمت لدين السلام والتآخي والمحبة والقيم بصلة فالأسلام منهم براء.

المصادر

1- القران الكريم

2- ابراهيم , ناجح ,هشام النجار.داعش السكين التي تذبح الاسلام ,دار الشرق ,ط1 ,.2015

3- ال زيود , امين بن محمد , باي عقل ودين يكون التفجير جهادا ,مكتبة العربي , ط1 ,.2002

4- المنجد في اللغة , الطبعة 36 , الصفحة 282.

5- الحيدري , ابراهيم , جريدة كتابات ,20013.

6- قصاص ,عبد الرحمن , الارهاب والمرادفات قي البغي والفساد , مكتبة صيد الفوائد ,ط1 ,.2015

7- حبيب. علي الشيخ. اسباب الارهاب , مركز الرافدين للبحوث والدراسات الاستراتيجيه , 2014.

8- فوده ,يسري , في طريق الاذى , مكتبة العربي ,ط1 , .2002

9-http://www.annabaa.org/nbanews

10- www.almadapaper.net/ar/news/

11- almothaqaf.com/index.php/ar**aa2**015/888592.htm